http://nidaulhind.blogspot.in www.nidaulhind.com

أسس نجاح الرسالة الإعلاميةفي قصة

الهدهد وأهل سبأ

بقلم: محمد الدسوقي ـ القاهرة

القرآن الكريم كتاب هداية ودعوة وتشريعٍ ورحمة وسلام وسعادة وأمان للناس جميعًا إلى يوم القيامة.

ومن نِعم الله تعالى على الإنسان أن القرآن الكريم تضمن إشارات واضحة إلى كثير من العلوم العصرية التي تأخذ بأيدي الناس إلى التقدم والحضارة والسعادة في مختلف مجالات الحياة، ومنها علوم الاتصال والإعلام، والهندسة، والطب، والزراعة، والفلك... ونحوها.

ويدركُ كل متدبر أمين أن القرآن الكريم تضمن إشارات مهمة تدفع إلى السموّ بالمسؤولية الصحفية والإعلامية، وتعظيم آثارها في بناء الدولة، ودعم الانتماء إلى الوطن، وتحري مصلحة المجتمع.

وتُعدّ قصة نبي الله سليمان مع الهدهد -التي حكاها القرآن الكريم في سورة النمل- واحدة من أهم المواقف ذات الدلالة الإعلامية، وأقدمها في التاريخ، وأعظمها أثراً حتى الآن.

تبرز أهميتها في إقرارها أسسًا ومبادئ وقواعد تضمن نجاح العمل الصحفي والإعلامي، ما تزال تتردد في قاعات العلم بالجامعات حتى اليوم باعتبارها من ضرورات بناء الشخصية الصحفية والإعلامية.

وتعدّ تلك الأسس والقواعد والمبادئ أبرز عوامل نجاح الأداء، وتنمية الثقة بين مختلف أطراف الرسالة الصحفية والإعلامية، ومن أهم أسس خدمة الوطن، والنهوض به، وحماية مصالحه في شتى المجالات.

إننا أمام موقف إعلامي فريد، مضى عليه آلاف السنين، وحكاها القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان، وما تزال حيّة نابضة بالعطاء لمن أراد أن يتعلم، أو أراد تطويرًا وتحضرًا.

هدهد.. في مأزق

تبدأ وقائع القصة بحديث القرآن الكريم عن واحدة من أهم خصائص مُلْك نبي الله سليمان عليه السلام، حيث سخر له الله تعالى الطير وعلّمه منطقه، ضمن نعم أخرى عديدة، استجابة لدعائه عليه السلام: "قالَ ربِّ اغْفِرْ لِي وهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأحَدٍ مِنْ بَعْدِي".. (سورة ص:35).

أحسن نبي الله سليمان عليه السلام توظيف الطير في خدمة المجتمع، ثم وقعت المفاجأة: "وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ لأعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ

- إعلاء المصالح العليا للوطن والحفاظ على مقدساته ومقدراته
- وأد الشائعات ومواجهة الأخبار الكاذبة لمنع الإضرار بالناس

مُبِينٍ".. (سورة النمل:20ـ21).

غاب الهدهد عن الموعد الذي يلقى فيه نبي الله سليمان عليه السلام الطيور، ويتلقى منها ما يلزمه عن أمور كلفها بها. ويكشف غضبُ نبي الله سليمان عليه السلام وتهديدُه بمعاقبة الهدهد بالعذاب الشديد عن أن الهدهد كان ذا شأن مهم، ودور أساس بين الطيور.

ثلاثة احتمالات وضعها نبي الله سليمان عليه السلام لمصير الهدهد:

- لأعَذبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا.
- أَوْ لأذبَحَنّهُ.
- أو لَيَأْتِيَنّى بِسُلْطَان مُبِين.

مواجهة المأزق

مضى وقت قصير، دخل بعده الهدهد على نبي الله سليمان عليه السلام، وتحدث بين يديه حديث الواثق

http://nidaulhind.blogspot.in www.nidaulhind.com

• التمسك بالقيم والمبادئ التي تكسب الصحفي والإعلامي ثقة المجتمع

• الحصول على المعلومات من مصادرها الحقيقية لضمان سلامتها

بنفسه المعتز بدوره: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾.. (سورة النمل: 22).

والإحاطة تعني الإلمام الكامل والشامل بالقضية أسبابها، وآثارها، ومخاطرها، وسبل علاجها، فضلاً عن أطرافها.

نجح الهدهد بذكائه وحسن تصرفه في مواجهة المأزق الذي أوقعته فيه الظروف. وكثيرًا ما يتعرض الصحفيون والإعلاميون لمآزق يحتاجون في مواجهتها إلى الذكاء، وسرعة البديهة، وحسن التصرف.

أفصح الهدهد عن هويته الصحفية، وبدأ في تفصيل ما أجمله في قوله: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ خاصًا نبي الله سليمان عليه السلام بالخطاب بقوله ﴿وجئتك﴾ وكأن الأمر خاص به، وشأن من شؤونه، وفي ذلك تشويق كبير للمخاطب، وجاذبية تدفعه إلى حُسن الإصغاء وشغف المتابعة.

تشويق وجاذبية

كشف الهدهد عن هويته الصحفية بقوله: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾.. وهذا التعبير يُوحي بمعانٍ مهمة:

ـ أن الهدهد ﴿المخبر الصحفي﴾ كان يتمتع بروح المبادرة في أداء دوره.

ـ أن هذا الدور كان حيويا لدى نبي الله سليمان؛ فاعتبر غياب الهدهد تقصيرًا في خدمة وطنه ومجتمعه.

ـ أن الهدهد مارس فن ﴿التشويق﴾ و﴿الجاذبية﴾ في مخاطبة سيدنا سليمان عليه السلام، ليخرجه من الغضب والوعيد إلى الشوق إلى المعرفة.

ـ استخدم كلمة ﴿نبأ﴾ نكرة ليفتح آفاق التخيل والتفخيم والتنويع أمام المخاطب، ومن ثم تزداد درجة التشويق لمعرفة النبأ.

وتلفتنا كلمة ﴿يقين﴾ التي جاءت وصفًا لكلمة ﴿نبأ﴾ إلى أمور مهمة، منها:

ـ ضرورة تحري الحقيقة والصدق والدقة في كل ما يجلبه الصحفي والإعلامي من معلومات.

ـ عدم تقديم معلومات ناقصة أو غير دقيقة أو متناقضة على الناس، فاليقين يعني اطمئنان الصحفي إلى صحة معلوماته، بصورة لا تحتمل الظن الخاطئ، ولا تقبل التشكيك، وتستعصي على النقض.

ـ أن تحري الحقيقة والصدق قد يستغرق بعض الوقت، وذلك أفضل من التسرع الذي يوقع في أخطاء، ويجلب مضاراً.

انفراد صحفي

ونمضي مع الهدهد في حديثه عن إنجازه الإخباري: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ﴾.. (سورة النمل: 23ـ24).

تحدث الهدهد عن نفسه خمس مرات؛ ليؤكد انفراده بالنبأ، وذلك في قوله: ﴿أَحَطتُ﴾ و﴿جئتك﴾ و﴿وجدت﴾ و﴿وجدتها﴾ بالإضافة إلى قوله ﴿إِنِّي وَجَدْتُ...﴾ فقد

جـاء حرف التوكيد "إنّ" متصلا بيـاء المتكلم الدالة على الهدهد.

وإذا كان علماء الصحافة في كليات الإعلام ومعاهده يشترطون لاكتمال عناصر "الخبر الصحفي" وكماله أن تجيب معلوماته عن خمسـة أو ستة أسئلة (من؟ ماذا؟ متى؟ أين؟ كيف؟ لمـاذا؟) فقد فعلها الهدهد بفطرته السوية.

إن نبـأ الهدهد أجاب بوضوح شـديد عن الأسـئلة الخبرية التي لا تزال تتردد في قاعات العلم، وذلك على النحو الآتي:

ـ من؟: بلقيس وقومها.

ـ ماذا؟: يسجدون للشمس.

ـ أين؟: في سبأ.

ـ متى؟: وقت طيران الهدهد بأجواء سبأ الذي تزامن مع تفقد نبي الله سليمان عليه السلام الطير.

ـ لماذا؟: لعبادة الشمس من دون الله، والعياذ بالله.

أما كيفية السـجود فمعروفة بأنها وضع الإنسـان جبهته على الأرض.

وهكذا سـبق الهدهد نظريات الاتصال في العالم بآلاف السنين في تحديد عناصر الخبر.

فن الكتابة

ومـا بَـدْءُ الهدهد النبـأ بعنصر المكان "سـبأ" إلا لأهميتـه الكبرى بين بقية العناصـر، باعتباره مركز الأحداث، سواءً السابقة أو اللاحقة، ومن أبرز أحداث سبأ:

ـ سجدت "بلقيس" وقومها للشمس من دون الله.

ـ تلقت بلقيس كتاب نبي الله سليمان عليه السلام الذي يدعوها فيه وقومها إلى الإسلام.

- التزام الحقيقة والبعد عن الاستنتاجات الخاطئة والتخمينات والتكهنات
- لا يجوز تقديم معلومات خاطئة أو ناقصة أو متناقضة على الناس

ـ في "سـبأ" عقدت بلقيس اجتماعًا مع كبار القادة، وطلبت مشورتهم.

ـ أبلغ القادة بلقيس أنهم أصحاب قوة وبأس شـديد، ومستعدون لتنفيذ أوامرها في أي وقت.

ـ اختـارت بلقيس البدء بخطوة دبلوماسـية، وقررت مـا حكاه القرآن عنها: "وَإِنِّي مُرْسِـلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ".. (سورة النمل: 35).

أحداث مهمة جرت في "سـبأ" ضمـن فصول هذه القضية؛ فاختـار الهدهد أن يُصـدّر "النبأ اليقين" بعنصر المكان باعتباره مركز الأحداث المهمة.

خطة عمل

وإمعانا في التدقيق واستظهار الحقيقة كاملة أعاد نبي الله سليمان عليه السـلام الهدهد إلى "سبأ" ليحقـق عدة أمور مهمـة، أبرزها إعـادة التأكد من تفاصيل النبأ، وتوصيل رسـالة إلى بلقيس، ومتابعة ردود الفعل على الرسالة.

قدّم نبي الله سـليمان عليه السـلام درسًـا مهمًا لمسـؤولي النشر حين "شـحذ" همة الهدهد، وقوّى عزيمتـه، وحدد له مهمته بأربعـة أفعال أمر متتالية بقولـه: "اذْهَب بِّكِتَابِي هَـذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِـمْ ثُمَّ تَوَلَّ

http://nidaulhind.blogspot.in www.nidaulhind.com

عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ".. (سورة النمل:28).

فأفعال الأمر: اذهبْ، ألق، تول، انظرْ.. ترسم خطة عمل دقيقة للهدهد تضمن نجاحه في أداء مهمته منذ توجهه إلى سبأ حتى عودته منها.

ليت مسؤولي النشر في الصحف يقتدون بهذه التجربة، ويساعدون المحررين الشباب على إتقان إنتاجهم الصحفي بمختلف أشكاله وفنونه، فيقدمون لهم خططا عملية للإنتاج الصحفي والإعلامي بجميع فنونه تُعلي مصالح الوطن، وتصون مقدراته.

صحفي شامل

المتأمل في قصة الهدهد يدرك -دون عناء- أنه صحفي شامل، فقد نجح وتميّز في عمل "المخبر الصحفي" وجلبَ لنبي الله سليمان نبأ يقينا مكتمل العناصر.

كما أنه "محقق صحفي" دقيق الأداء عميق النظرة قادر على استخلاص الحقائق، وذلك واضح في حديثه عن علاقة بلقيس بقومها: "وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ".. (سورة: 23).

فما كان باستطاعة الهدهد أن يخبر بأن بلقيس "أوتيت من كل شيء" إلا بعد استقصاء ميداني في أرجاء سبأ رأى فيها وفحص ودقق وعاين ما عبر عنه بقوله "كُلِّ شَيْءٍ".

ولعل الهدهد كان يقصد لفت نظر نبي الله سليمان عليه السلام إلى ما تتمتع به "سبأ" من قوة اقتصادية وعلاقة متينة لبلقيس مع قومها، ليراعي ذلك في قراراته.

فمن أهم واجبات الصحفي مساعدة المسؤول بمعلومات يقينية على اتخاذ القرار الصائب والموقف السليم في مختلف القضايا، خاصة التي تمس حياة المواطنين، وتتعلق بمصالح الوطن.

وتؤكد الآيات الكريمات أن الهدهد صاحب رأي صائب وفكر حكيم، ولديه قدرة على التعبير -فيما يمكن اعتباره مقالا- بكلمات واضحة، ودلالات قوية، مؤيدة بالبراهين والحقائق.

وقد سجل القرآن الكريم رأي الهدهد في هذه القضية بقوله: "أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ".. (سورة النمل: 25-26).

وإذا كان الهدهد عمل "مخبرا صحفيا"، فقد تنوعت ميادين عمله وفقا للتقسيم العملي الحالي في العديد من الصحف الكبرى، فتارة يعمل "محرر رئاسة" في قصر بلقيس، وتارة يعمل "محررًا برلمانيًّا" لمتابعة وقائع اجتماع مجلس شورى "سبأ" برئاسة بلقيس، وتارة ثالثة يعمل "محققًا صحفيًّا".

حُسن الصياغة

تميز كلام الهدهد مع نبي الله سليمان عليه السلام بسمات عديدة تعد اليوم من أهم خصائص الكتابة الصحفية الناجحة:

أ ـ استخدام الجمل البسيطة ذات الكلمات القليلة والدلالات الكثيرة، لتيسير الفهم:

- أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ.
- وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ.
- إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ.
- وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.
- وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ.
- وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ.
- وَزَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ.

http://nidaulhind.blogspot.in www.nidaulhind.com

- فَصَدَّهُمْ عَنْ السَّبِيلِ.

- فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ.

ب ـ اعتمد أسلوب "الإيجاز" دون إخلال، فبسط معلوماته في كلمات معدودة، ولم يتضمن كلامه لفظا واحدا زائدا.

ج ـ راعى الهدهد أعباء نبي الله سليمان عليه السلام، فلم يُضيّع وقته بكثرة الكلام الذي لا يفيد.

د ـ جاءت الكلمات واضحة المعاني شائعة الاستخدام خالية من أي غموض أو غرابة.

هـ ـ نجح الهدهد في استخدام أسلوب الجاذبية والتشويق، فاستهل كلامه بقوله: "أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ"، ثم أضاف جملته الثانية: "وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ".. وهكذا أصبح نبي الله سليمان عليه السلام شديد الحرص على معرفة الأمر الذي أحاط به الهدهد، والوقوف على النبأ اليقين الذي أشار إليه.

و ـ جاء حديثه عن بلقيس وقومها خاليا من أي وصف يمكن أن يندرج في إطار السب والشتم والإهانة، فقد عمد إلى نقل الحقيقة، وهذا ما ينبغي أن يتعلمه الصحفيون والإعلاميون من قصة الهدهد.

ز ـ حرص على أن تكون صياغته للنبأ مستندة إلى الحقائق والمعلومات، وخالية من أي رأي، فجاء تعقيبه على القضية بعد أن انتهى من طرح جميع العناصر الخبرية مجردة تماما.

دروس مستفادة

تؤسس (التجربة) الصحفية الناجحة لهدهد سليمان مبادئ وقواعد وأصولا مهمة لتحقيق التميز للصحفي والإعلامي، منها:

ـ إعلاء المصالح العليا للوطن، والحفاظ على مقدساته ومقدراته.

ـ التمسك بالقيم والمبادئ التي تكسب الصحفي ثقة المجتمع.

ـ امتلاك شجاعة المبادرة، لحماية استقرار المجتمع وسلامته وأمنه.

ـ التمتع بالذكاء وسرعة البديهة، وحسن التصرف في المواقف الحرجة.

ـ التدريب الدائم والحرص على الإلمام بالتفاصيل الدقيقة للأحداث.

ـ تقديم معلومات صحيحة تساعد المتلقي في كل ما يتصل بحاضره ومستقبله.

ـ مواجهة الشائعات والأخبار الكاذبة التي تستهدف الإضرار بالمجتمع.

ـ يجب أن يكون المنتج الصحفي متصلا بقضية تشغل الناس، وتهم المواطنين.

ـ التزام "الموضوعية" بعرض وجهات النظر المختلفة، والتماس اليقين دائما.

ـ الحصول على المعلومات من مصادرها المباشرة والموثوقة.

ـ توثيق المعلومات بمختلف طرق التوثيق، وأبرزها نسبتها إلى أصحابها.

ـ البعد عن الاستنتاجات الخاطئة والانطباعات والتخمينات والتوقعات والخيال.

ـ العمل الصحفي معرفي تعليمي تثقيفي إصلاحي، ولا يجوز الصمت أمام ما يهدد مصالح المجتمع.

ـ "الإيجاز" دون إخلال، واستخدام الجمل البسيطة الخالية من أي ألفاظ زائدة، أو تكرار.

ـ أن يكون الإعلامي عف اللسان مترفعا عن الإسفاف في أسلوبه حتى مع أشد الناس خصومة.